أوهام الشرق في الغرب

زار احد براهمة الهند ناديًا من الاندية الاميركية في شهر دسمبر الماضي وخطب في الجمع المجتمع خطبة موضوعها العالم الاثيري من العوالم التي تتدرّج فيها المخلوقات حسب زعمهم. وكان الاستاذ دافد ستار جوردان بين الحضور وهو من اكابر علماء اميركا فكتب واصفًا الخطيب وخطبتهُ قال

ان الخطيب واسمهُ سوامي رام تلامخ رجل من براهمة بنجاب اسمر اللون نحيف الجسم دقيق العارضين رقيق الشفتين اسود العينين يرّاقهما ينظر اليك فتحسب انهُ يستطلع خفايا نفسك وهو معتمٌ بعمامة بيضاء ولابس ثيابًا بيضاء وحمراء. وقالت لنا صاحبة النادي ان لا تلمس ثيابهُ لانهُ اذا لمسهُ انسان غير طاهر المسّهُ ونجّس الروح المنتشرة حولهُ. وهذا شأنهُ لو شمّ رائحة خبيثة او اقترب من دكان جزار فان رائحة اللحم تزعجهُ شديدًا ولذلك فحياتهُ لا تخلو من الكدر

وافكارهُ سامية جدًّا وتعبيرهُ عنها في منتهى الدقّة والإحكام فلا اوفيها حقها مهما دققت في النقل واسهبت في الوصف. شرع في الكلام على اطوار الوجود الخمسة او العوالم الخمسة وهي العالم الطبيعي والنجمي والدقاشاني والشوشي والنارفاني وقال ان العوالم سبعة ولم يحصرها في خمسة الاّ بعض فلاسفة الانكليز فوراء العالم النجمي العالم الاثيري لان الاثير وراء النجوم. وبعدهُ العالم الكلي ثم بقية العوالم وقد اختار الآن ان يخطب فينا عن الاثيري فقال ان هذه العوالم حقيقيّة كلها لا شبهة في وجودها كما لا شبهة في وجود العالم الذي نحن فيهِ الآن. وما الاحلام سوى اسفار تسافرها النفس الى العوالم العليا فهي حقيقيّة ايضًا. وليس بين الخيالات والتخيلات ما هو وهمي وما الوهم سوى انكار هذه الحقائق وقد مُنيت الفلسفة الغربية بهذا الإنكار وبانتصارها على ما هو ارضي زمني فانتقلت من دائرة الراحة والهناء الى دائرة الحروب والمزاحمات التجاريّة والتسلّف والشكوى وهذه نتيجة البقاء في عالم المادة فانهُ يدعو الى الحروب والخصومات واهلهُ لا يرجون النجاح الاّ من قتل كل الذين لا يصلحون للحروب او للمزاحمة في التجارة

وسكان هذه العوالم السبعة يختلف بعضهم عن بعض باختلاف العوالم نفسها وبعضهم طيوف الاشخاص الذين في العالم الذي تحت عالمهم رتبةً لان الطيف لطيف فيصعد من عالم الى عالم ويخترق الحاجز الذي بينهما ولذلك ترى الواحد يسمو بافكارهِ احيانًا من عالم

الى ما فوقهُ فيرى ما فيهِ اخيلةً فيقوم في نفسهِ ان لا حقيقة لهُ وكذلك تنفصل الروح التي في عالم عالٍ فانها قد تنزل الى العالم الذي دونهُ وتخترق اجسام سكانهِ من غير ان تشعر باقل مقاومة فتفرهم او تنفهم فاذا كانت الروح شريرة اذتهم واذا كانت صالحة نفعتهم

وكلما علا العالم قلَّ تأثير ارواحهِ فينا لا لانها غير حقيقية بل لاننا غير متدربين على التأثر منها ولأن سكان العوالم العليا تغير اشكالها بسرعة البرق وتبعث منها نور يبهر الابصار وهي تتغير من شكل الى آخر . والبصر هناك على غير ما هو عليهِ هنا فالذين في العالم النجمي يرون باطن الاجسام الجامدة كما نرى نحن ظاهرها ويرون الاجسام كلها بعيدة كانت او قريبة فلا يؤثر القرب والبعد في رؤيتها . ويرون للاجسام بعدًا رابعًا وبعدًا خامسًا وسادسًا كما نرى نحن الابعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق . وقد وجد ان التحديق في البلورات يدرّب العين على رؤية المشاهد في العوالم العليا واحسن مئة ان يجتمع النساء والرجال في حلقة ويحدقون الى زهرة من الزنبق الابيض يضعونها في وسطهم وهم صامتون ولا يفكرون بغير الاثير فان بعض النساء اللواتي مارسن ذلك سنين كثيرة صرن يرين سكان العالم الخامس والسادس من العوالم السبعة ولكن لم يبلغ احد من الانكليز هذه الدرجة ويخيل ان يبلغ احد منهم ومن الاميركيين العالم السابع عالم النارفانا حيث تزول الشهوات

ومناظر الاشياء التي في العالم الاثيري مثل مناظر الاشياء التي في العالم المادي لكنها اكثر منها دقةً وتغيرًا واختلافًا للعقول ومادتها الطف من مادة الاجسام الارضية بما لا يقدَّر بل الطف من جواهر المادة ولذلك تمر بين دقائق الاجسام المادية بسهولة تامة وتُرى في الارض في الاماكن القديمة كما في بلاد الهند وبلاد التبت لان تلك المعاهد سكنها الانسان من قديم الزمان فتكثر فيها النفوس الاثيرية اما كليفورنيا فسكنها الانسان حديثًا ولذلك لا يرى في غياضها ورياضها غير نفوس الحيوانات وقد يمرُّ المرء فيها اسبوعًا بعد اسبوع فلا يرى فيها نفس انسان واحد واذا رأى نفس انسان مشت اليهِ وبشت وقابلتهُ بالبشر والحبور لانهُ يمضي عليها زمن طويل قبل ان تلتقي بنفس انسان آخر . ويستدل على الالتقاء بصديق في تلك القفار باشراق في الشعاع الذي يحيط بالنفس

وهذا الشعاع ليس نورًا منتشرًا من النفس بل هو النفس عينها والانسان نفسٌ اذا جردناهُ من الجسد المادي . وهو يفرق عن الشعاع الذي يرى حول الجسم المادي في العالم النجمي وقلَّ يدخل العالم الاثيري ولذلك سمي الشعاع النفسي بالطيف الاثيري لانهُ يعلم من قديم الزمان ان لكل انسان طيفًا مشابهًا لهُ يبقى محفوظًا عند ارباب الكرما (الكرامة)

وسكان العالم الاثيري مختلفون مثل سكان العالم الارضي او المادي ولكن لا يصل اليهم كل انواع الناس الذين في العالم المادي مثال ذلك ان سكان العالم النجمي قلما يوجد فيهم من يتكلم اللغة الانكليزية وسكان العالم الاثيري لا يوجد بينهم من يتكلم الانكليزية مطلقاً لان الشعب الانكليزي لا يصل الى هناك ولا يصل الى ذلك العالم الا المتكلمون باللسان السنسكريتي وبعض فروعه ولذلك سيحبط سعي الذين يحاولون جعل اللغة الانكليزية لغة الناس كلهم . وتبطل اللغات البشرية كلها في العوالم العليا

ثم قال ان سكان العالم الاثيري خمسة اقسام الاول جسم والثاني لا جسم لهُ والثالث اجسامهُ قشور والرابع قرائن والخامس زوّار والسادس جواهر والسابع مخترعات

فالنوع الاول طيوف لا تزال اجسادها على الارض وقد تكون الاجساد مستغرقة في النوم فتخرج طيوفها منها الى العالم الاثيري . او سحرة يطوفون في العوالم لقضاء لباناتهم . او نفوس اناس يطلبون الحقائق و يسعون وراءها من الصقالبة واللابلندبين والملقيين

والنوع الثاني نفوس نازلة من عوالم عليا ومتجسدة باجساد اثيريَّة لكي تُرى وهي لو بقيت في اجسادها الاصلية لتعذَّرت رؤيتها في العالم الاثيري

والنوع الثالث صفات واخلاق مجتمعة بعضها مع بعض ولا نفوس لها فهي تشبه الانسان في شكلها ولكنها خالية من كل معاني الانسانية . ومن قبيل ذلك الارواح التي يراها بعض الناس في البيوت القديمة والمقابر المهجورة

وهكذا الى النوع السابع الذي قال انهُ مخترعات الشعراء واماني الناس وتخاوفهم وما يحبونهُ وما يبغضونهُ وقد تجسَّمت وتشكلت . ومن قبيل ذلك الصدى الذي ينذر بدنو الاجل والاصوات المزعجة التي تسمع في البيوت التي يقال ان الجن ساكنة فيها فان كل ذلك من مخترعات الانسان ولكنهُ تجسَّم وسيبقى دهوراً

واقاض الخطيب في هذا الموضوع على هذا النحو حتى يتعذَّر علينا ذكر كل ما ذكرهُ واثبتهُ الاستاذ جوردان فاجتزينا عنهُ بما تقدم ونحن نعجب كيف يقوم في اميركا اناس من المتعلمين المتهذبين يصدقون هذه الخزعبلات